

تفسير البحر المحيط

@ 435 @ دَرِينَهُمْ مَّـلَا كَانُوا° يَفْتَرُونَ { من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، كما غرى أولئك بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم) في كبائرهم . إنتهى كلامه . وهو على عادته من اللهج بسبب أهل السنة والجماعة ، ورميهم بالتشبيه ، والخروج إلى الطعن عليهم بأي طريق أمكنه . .

وتقدّم تفسير هذه : الأيام المعدودات ، في سورة البقرة فأغنى عن إعادته هنا ، إلاّ أنه جاء هناك : معدودة ، وهنا : معدودات ، وهما طريقان فصيحان تقول : جبال شامخة ، وجبال شامخات . فتجعل صفة جمع التكسير للمذكر الذي لا يعقل تارة لصفة الواحدة المؤنثة ، وتارة لصفة المؤنثات . فكما تقول : نساء قائمات ، كذلك تقول : جبال راسيات ، وذلك مقيس مطرد فيه . .

{ وَغَرَّ هُمْ° فَي دَرِينَهُمْ مَّـلَا كَانُوا° يَفْتَرُونَ } قال مجاهد : الذي افتروه هو قولهم : { لَنْ تَمَسَّ ذَا الذَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّـعْدُودَاتٍ } وقال قتادة : بقولم : نحن أبناء الله وأحباؤه . وقيل : { لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى } . وقيل : مجموع هذه الأقوال . .

وارتفع : ذلك ، بالابتداء ، و : بأنهم ، هو الخبر ، أي : ذلك الإعراض والتولي كائن لهم وحاصل بسبب هذا القول ، وهو قولهم : إنهم لا تمسهم النار إلاّ أياماً قلائل ، يحصرها العدد . وقيل : خبر مبتدأ محذوف ، أي : شأنهم ذلك ، أي التولي والإعراض ، قاله الزجاج . وعلى هذا يكون : بأنهم ، في موضع الحال ، أي : مصحوباً بهذا القول ، و : ما في : ما كانوا ، موصولة ، أو مصدرية . .

{ فَكَذَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ° لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ } هذا تعجيب من حالهم ، واستعظام لعظم مقالتهن حين اختلفت مطامعهم ، وظهر كذب دعواهم ، إذ صاروا إلى عذاب ما لهم حيلة في دفعه ، كما قال تعالى : { تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ° } هذا الكلام يقال عند التعظيم لحال الشيء ، فكيف إذا توفتهم الملائكة ؟ وقال الشاعر : % (فكيف بنفس ، كلما قلت : أشرفت % .

على البرء من دهماء ، هيض اندمالها .
%) .

وقال : % (فكيف ؟ وكلّ° ليس يعدو حمامه % .
وما لامرء عما قضى الله مرحل° .

وانتصاب : فكيف ، قيل على الحال ، والتقدير : كيف يصنعون ؟ وقدره الحوفي : كيف يكون حالهم ؟ فإن أراد كان التامة كانت في موضع نصب على الحال ، وإن كانت الناقصة كانت في موضع نصب على خبر كان ، والأجود أن تكون في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف يدل عليه المعنى : التقدير : كيف حالهم ؟ والعامل في : إذا ، ذلك الفعل الذي قدره ، والعامل في : كيف ، إذا كانت خبراً عن المبتدأ إن قلنا إن انتصابها انتصاب الظروف ، وإن قلنا إنها اسم غير طرف ، فيكون العامل في : إذا ، المبتدأ الذي قدرناه ، أي : فكيف حالهم في ذلك الوقت ؟ وهذا الاستفهام لا يحتاج إلى جواب ، وكذا أكثر استفهامات القرآن ، لأنها من عالم الشهادة ، وإنما استفهامه تعالى تقرير . .

. %)

واللام ، تتعلق : بجمعناهم ، والمعنى : لقضاء يوم جزائه كقوله : { إِنْ زَكَّيْكَ جَٰمِعُ } { الذِّسَّاسِ لِيَوْمٍ } قال النقاش : اليوم ، هنا الوقت ، وكذلك : { أَيْسَّامًا } مَّعْدُودَاتٍ } و { فِي يَوْمٍ مَّيْنٍ } و { فِي أَرْبَعَةِ أَيْسَّامٍ } إنما هي عبارة عن أوقات ، فإنما الأيام والليالي عندنا في الدنيا . .

وقال ابن عطية : الصحيح في يوم القيامة أنه يومك ، لأنه قبله ليلة وفيه شمس . . ومعنى : { لَا رَيْبَ فِيهِ } أي في نفس الأمر ، أو عند المؤمن ، أو عند المخبر عنه ، أو حين يجمعهم فيه ، أو معناه : الأمر خمسة أقوال . .

{ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } تقدم تفسير مثل هذا في البقرة ، آخر آيات الربا . .

{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ